(٢٢)

عبد الربين
ورب الثقلين
المتعلم الأزلي، والمعلم الأبدي
الإنسان الآدم، والآدم الإنسان
في لا نهائي لا إله إلا الله

حديث الجمعة

١٩ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ - ١٦ نوفمبر ١٩٦٢ م

ربنا غفرانك منا، وإليك المصير.

ربنا أصلح لنا بالنا، بمن أصلحت باله، وأنزلت عليه كتابه، كتابا لك، وأعطيته كتابه بيمينه، يُقرِئه ويقرأه على مكث، به كان رسولا من أنفسنا منك، ورحمة لنا بك.

اللهم أصلح بالنا بمن جعلت أعمالنا بمتابعته أعمالا له مشهودة منك، مرفوعة إليه رفعا إليك، يحمدك على ما وفقت ويستغفرك على ما أخطأنا، يستغفر عنا ويحمد لنا، وقد جعلته لأزليك من الإنسان رفيقا له وربا لنا، عرفتنا فيه أول العابدين قدوة لنا، وجعلت في مظاهر خلقه بنا وفي سبيل غايته لحقه فيه أسوة لنا، وجعلته بمعناه من ربه مولى لنا أولى بالمؤمنين منا من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، فجعلت من المؤمنين به أبناءً له، وجعلته أبا علويا لهم ليس أبا لأحد من رجالنا، ولكن أبوته لنا منة منك قاصرة على من اصطفيت من عبادك، ومن خلقك عبادا مكرمين، وكلمات منك مهداة إليه. أدبته وهديته فأحسنت تأديبه، ونشرت هديه، وأعنته بقدرتك على أمره، وجعلته الشهيد على من تأخذ من الشهداء منا رسلا من أنفسنا، كيفما نكون وليت علينا، فجعلت نهاية المعارف لنا عنا في المعرفة عنه عبدا لك، وجعلت نهاية المرتقى منا إليك فيك في الوصلة به والاتصال بحضرته، وجعلت نهاية النعمة منك لنا وجوها بك ناضرة لوجهك به ناظرة جنة لا تغيب، وحياة لا تنقضي، ونعيما لا يوصف،

وجعلت نهاية الإيمان بك والخلاص من أنفسنا في الإيمان به رسولا منك وحقا لنا. لا إله إلا أنت، ولا عبد عندنا منك إلا هو، العظمة لك والرحمة منك به، جعلت العلم عن عظمتك في ظاهرها في إدراك عظمته عبدا لك يخفض جناح الذل من الرحمة، والعزة منك له وللمؤمنين به. وجعلت رحمتك في التعرض لفيوض رحمتك منه رسولا أظهرته على صورتنا، ونسبته إلى معنى التصور لك في صورتك بالرفيق الأعلى له، هو على صورته قاب قوسين أو أدنى منه، فكان في ذلك به شرفنا بشرا، وكان في ذلك لنا نعمتك قائما على كل نفس، أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، من وراء كل نفس بإحاطتك نشهدنا منك، فنشهدك في مرآة أخوتنا فيك، والاجتماع على التواصي بحقك لذكرك، والتلاقي في لقاء على أمرك، والعَمل في غاية هي طاعتك، نراك في الكل فنسجد لعظمة وجودك، وجمال شهودك، وشدة قربك.

يا من هو الكل ولا كل إلا هو، يا من جعل من عبده به كل عباده له لأنه عبده ووجهه وعَلَمَ كله، وجعل من عبده بكله طلعة إحاطته، وكتاب ذاته، ويد قدرته، وعظمة شهوده، وسرمدي فعله، فسجد العبد للكل أزليا ربا له، وسجد الكل بوصف الخلق للعبد أبديا رسولا، وحقا منه، ووجها له تميز باصطفائه والكل منه...

يا من قبضت عبدك في يدك لتقوم على الناس إرادتك، وفعلك لا يخرج عن مرادك، وليظهر بكل معاني الرحمة منك والإسلام لك، وجعلت الاجتماع عليه والتسليم له معنى الإسلام لك، ومعنى الرشاد منك، وجعلت في الاسترشاد به معنى الاستقامة معك، ختمت به معاني الغيب لك، وبدأت به معاني الغيب له، فكان معاني الشهود لطلعتك، أمرته أن يعلن أنه الحق قد تواجد على الأرض بتواجده يدب بمسيره، ويشهد لأهلها بقيامه من أنفسهم في أنفسهم...

يقوم في أمته، لا ينقطع لها وجود، ومن خلالها لا ينقطع له تواجد، فيها يبعث القديم له، وبه وله يتواجد في وصف الجديد منه، فيقوم جديد الذكر بقديم الذكر مسيحا له تعريفا عن الذاكر والمذكور، والعبد والمعبود، والشاهد والمشهود، أول كل حشر، وأعلام القيام لكل حق، وساعات اللقاء لقديم الجنس في جديد الجنس، بالحق في دورة الحياة للجنس في حضرة رشاده، وتحت ألوية قياده على أرض رحمته وبرزخ سلطانه لبحري خلقه من اللؤلؤ والمرجان بالإنس والجان...

انقضى به الإنباء عنك، وقام به العلم منك في العلم عن النفس بالعَلَمَ عليك لأعلام خلقك، فكنت به وبهديه على ما كنت وهديت في أزلك، وعلى ما أنت في أبدك الغني عن العالمين حقا، من لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية صدقا. ارتفع بك بعقله منك فوق العقول، وفتحت به باب الارتفاع لخلقك يتعاملون معك فوق الطاعة والمعصية، فوق الفناء والبقاء، فوق الأزل والأبد، فوق الزمن والدهر، فوق

المكان واللامكان ضاق أو اتسع، فوق كل شيء، فوق الوجود وما حوى، فوق الكون وما طوى. به جعلت من إنسانية خلقك إنسانية حقك كراسي ملكك، وعروش إحاطتك بسعتك، وترجمان عظمتك، وأيادي رحمتك.

انتهى النبأ والإنباء بتمام الدين برسالته، وقام الخبر والعيان بدين القيمة واليقين بأمته. القيامة في قيامه بنوره مبعوثا في الساجدين إلى ربه منتهاها في أهل اليقين. جعلت في إرادتك به يوم تسوي محدث ذكرك من الخلق، به قديما له، ذكرا لك في الخلق معنى الساعة لمعنى الحياة بدنيانا، أمة به بدأتها لا تعدد فيها بين بنائها وبانيها، بين صغيرها وكبيرها، أمة هي الإنسان، أمة هي منك عنك البيان والعنوان لسرمدي ظهورك وقيامك بالإنسان، جعلت على الأرض حضرتها، وعلى الأرض بالأحياء من سائر العوالم ملكوتها، وعلى الأرض بالعاملين بقلوب حية سلطانها، جعلتها الصلاة قامت بقيامه في الساجدين، وجعلتها الفلاح لمن أفلح في متابعته من السارين، وجعلتها العلم بالعلمية على الأكبر لمن أدرك الحق في معارجه واحدا أحدا، قائما في الكبير والصغير وعلى الكبير والصغير، وجعلتها لنا تمام النعمة لأهلها ملأ لك، وجعلتها أمة هي الأكبر لمن يطلب اللقاء بك ممن لم يلقاك في نفسه إذ به جعلت ملأها ملأ لك، وحضرتها حضرة لك، وبها حددت الأعلى والأدنى، كما عرَّفت العالين والسافلين، والذاكرين والأوابين، والسابقين والمتخلفين، إذ جعلت به لعوالم الروح من الإنس والجن من الإنسان، ولعوالم الروح من الإنس والملك من الإنسان في البشرية وعلى أرضها قبلة لك به، جعلت فيها شهودك بخلافتك عليها خليفة عنك بك، كما جعلت من هذه الأرض للغافلين أرض رحمتك، وحضرة إيابهم بهم لكسب طاعتك بإدراك معانيك في فطري معانيهم، ينسبون إلى الأكبر في معناهم من أنفسهم رحمة منك للعالمين، بمعنى الإنسان هم فيه يجمعهم إليه يرجعون، وبه يؤمنون، وله ينشدون، وفي أنفسهم يطلبون إنسان الله، وخليفة الله، وعبد الله، وحق الله، وجعلت من الأعلى من ملأ الإنسان لمن عليها، رب الناس، ملك الناس، إله الناس، رفيقا وملأ أعلى لملئها بالرشاد، وجعلت بها لمن دونها في الرشاد من فطري الإنسان رب الناس، ملك الناس، إله الناس، أمة وسطا. وجعلت من إنسان رسالتك لعوالمك وعبد معرفتك من عالم رشادك الشهيد على شهدائها، والقيوم على قيوميها، يقوم ويتقلب في الساجدين، وجعلت دينه دين القيمة على خلقك بالرشاد، فجعلت النبوة في دينه علما وأمرا يكسب ويوهب، من قامه كان نبيا للناس بعلمه قيما عليهم بقدوته. علماء أمته كأنبياء سبقه من الأمم، وشهداء إنسانيته كأوادم سبقه من طبقات الجنس، نبيا للنبيين أبناءً مجاهدين، وآدم للأوادم آباءً متحققين، وشهيدا على الشهداء العاملين رفاقا قوامين ربا وعبدا في العالمين، رحمة للعالمين ورسولا للعابدين، ونورا للمتجلين، وصورا في الوجوه الناظرة، والوجوه المنظورة، عبدا لمن ليس كمثله شيء، ورسولا ممن هو كل شيء.

هذا هو محمد، هذا من عرفناه محمدا ذاتا وصفناها، وعَلَما بيننا ذكرناها، وغيبا علينا غير معلوم لنا قدرناها، وما كان لنا أن نعلمها إلا في علمنا عن أنفسنا في معناها يوم أنَّا منه وإليه أرجعناها تخلقا بأخلاقه، علما عنه، ومتابعة له في تخلقه بأخلاق ربه، وتقديرا لتخلق ربه بأخلاق الرفيق الأعلى ربا لهما، وإلها وربا لنا غيبا علينا هم شهادته لنا بنا.

بهم تبارك الإنسان ظاهرا لنا، وكم تبارك بهم غيبا علينا! تبارك الذي بيده الملك، تبارك الذي أعطى كل تبارك قبلة خلقه وهديه، هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا. تبارك الذي منح الملك فكان يد سلطان حقه وسلطان قيامه، فبسط سلطان لحاقه، من الإنسان، في الإنسان، بالإنسان، لمعناه ولمتابعه، هو من عرف ربه إنسانا ورفيق سبق، وعرف إلهه إنسانا وصاحب عظمة، تكنز عنه بحجاب الرب له رفيقا أعلى، وعرف الأرض إنسانا ودار رحمة، فدخل جوفها بمعناه حيا وارتبط بالرفيق الأعلى روحا ونورا، وانتظر حتى تنشق عنه عَلَما عليها وسيدا لها، أمة له وربا لها، في بعث محمود فتشرق بنوره، وتتساقط السماء عليه بأنبيائها وشهدائها، وتنشق الأرض عنهم أبناءً لها، ويوضع الكتاب بيننا إنسانا بالعلم عن ربه مطلقا، وعن غيبه به حاضرا قيما موجودا، وحقا قائما مشهودا، وعبدا مسلطا برحمته سلطانا ممكنا بعزته ذكرا وعنوانا. يد قدرته تقوم يوم تحيط يده بأرضه فتكون الأرض جميعا قبضته - على ما تشهدون في عصركم هذا - أمرا ظاهرا في سفوره وأمرا ما احتجب في دار من دوره.

إن ظواهر الإسلام تُشهد في أحداث الأرض في يومكم، على ما شُهدت في يوم إبرازه بمؤسسه ومجدده ومحمده رسولا لله وعبدا له. إن الظواهر الروحية في الإسلام، إنما هي في أحداث الحياة، تنتظم في مراد كتابه قائما، وفي نصرة المسلم مفتقرا، تنتظم في إرادة أمة الإسلام تجأر، يوم يكون للإسلام أمة تبدأ دائما من رجلين، عارف بنفسه وصديق متابع موحد لربه، فيكون لهما إرادة هي إرادة ربهما. فأمة الإسلام ليست بعديد من الناس ولكنها رجل عرف ربه أقرب إليه من حبل الوريد، ورجل عرفه وصدقه ونظر به وجه ربه متوحدا منه. منهما ينتشر نور الفطرة، ويقوم أمر الحكمة، ويزرع علم الكتاب...

ينتظم المجتمع البشري في ظاهره بباطنه انتظام الساعة، وهو على دوام في دورة منتظمة، كلما تجدد فيه بدء في دورة الزمن بقرنه على خفاء من أمره، والرسالة به فيه دوما متجددة، كلما أسفر رسوله بجديد علم، وظهر بوجه الحق في قوم، ونطق بلسان الصدق أمينا فيما يقول، صادقا فيما يقوم، مدركا فيما يرشد، عالما فيما يُعرِّف، مستقيما فيما يفعل، من أنفسهم وبلسان قومه ليبين لهم.

قام الإسلام بلا إله إلا الله، ونُصر بلا إله إلا الله، وعُلم وانتشر بلا إله إلا الله، عنونها له محمد رسول الله، فكان الحق من الله، وكان حجر الزاوية للزمان، ونقطة المركز للمكان، فكان منسكه قبلة تشير إلى معناه وتعرفه، هي بيته لله ترمز إلى قلبه الكبير دارا من أرض طيبة لا يعصى فيها الله، وإلى أهلها عبادا من روح الله، ولقومه جندا وأنصارا لروح الله، وإلى عترته مسحاء إنسان الله، وإلى قائم الله لا يغيب، وباطن الله لا يحتجب، وظاهر الله لا يجحد، ووجه الله لا ينكر ولا يجهل، ويد الله لا تزور عن العطاء، وذات الله لا تتوقف عن القيام، وقدم الله ونور الله لا يتوقف عن المسير والانتشار.

إن الإنسان لا بدء لتواجده بالله، ولا انقضاء لتجدده بالله، ولا انقطاع لقيامه بالله، ففي دوام بأزل قام، وفي دوام في أبد سوف يقوم، وفي دوام في كل حاضر هو قائم. قامت الديانات جميعا على الإيمان به قديما إنسان الله، وقامت الطرق جميعا على السعي إليه قائما طريق الله وسبيل الله، وقامت البشرى للبشر جميعا، أنهم به يقومون وفيه يتواجدون، وأنه فيهم ضمائرهم يستيقظون، فمن لم يبحث عنه قائما لن يدركه فيه له دائما، ولن ينشده يقوم، أشهده على الدين كله إنسان شهادته، وحق قيامته، وعبد رسالته، فكان في معانيه الدين كله، فأظهره على الدين كله فعرف ما كان، وما يكون، وقام ما كان، وما يكون.

ها هو يظهر في أحداث الأرض، وفي أحداث السماء، في آفاق الأرض وفي آفاق السماء، ظواهره وآياته بالحق بما نشهد في كل يوم من جديد. فلنتأمل ما وقع في مطار القاهرة من أيام وقد صادف مجيء الطيارات الإنجليزية اللاجئة بطياريها من الأردن، تواجد السفراء والحكام بالمطار دون تدبير للتواجد أو اللجوء في لقاء مثير، ولو توافقوا لاختلفوا في الميعاد. إن الأحداث تنطق بعظمة محدثها، وتكشف عن يد سلطانه المحيط، لا يفلت منه فرد أو جمع، لا يفلت من تدبيره تدبير، ولا من مكره مكر، فلله المكر جميعا، يمكر لتحقيق السلام، ويمكرون لبذر بذور الخصام، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم أو بأفعالهم، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وهو متمه ولوكره الكافرون. إن الله بالغ أمره. إن موعدهم الصبح، وقد أصبحنا في قرب من فجر، وفي إهاب ليل من إصباح، توشك شمس يومه أن تنبثق بشروق، فنستمتع بضحاها، وتعرف النفوس من أهل الأرض فجورها وتقواها ولا يخاف عقباها.

ها نحن.. بين غافل وما أكثرنا! ويقظ وما أقلنا! بين مبصر وما أندرنا! وبين أعمى وما أوسعنا وما أكثرنا وما أغنانا! ولكن عود ثقاب إذا اشتعل، ذهب بجحافل الظلام مهما اتسعت. إن النور يغلب الظلام في كل معركة يشتبك فيها النور والظلام، وإن السلام يناصره السلام ينتصر في كل معركة

يشتبك فيها مع أهل الخصام. لقد بتنا قاب قوسين أو أدنى من نصر قريب، من يوم معهود، من يوم مشهود، شُهد في قديم، وانتظر من قديم في قابل، وهو متجدد في قائم في دورة من دورات الزمان، وفي دورة من دورات الإنسان، بين غيبه وشهادته، بين قديم بالحق وجديده بالحق، دورة في لا إله إلا الله، دورة في محمد رسول الله، دورة في آدم الله، يوم اصطفاه من بشرية قديمه وسبقه، دورة في إنسان الله، يوم خلقه بحضرته على أرضه نائبا عنه، في حضرته من سمائه بسبقه وغيب معناه، لا جديد في الحق، ولا جديد فوق الشمس، ولا جديد تحت الشمس، ولا جديد فوق الأرض، ولا جديد تحت ثراها، إنه العلم، إنه المعرفة، إنه الحياة، إنه لا إله إلا الله، إنه محمد رسول الله.

اللهم أعلِ محمدا، اللهم انصر محمدا، اللهم انشر محمدا، اللهم اكشف محمدا، اللهم ابعث محمدا، أمرا لك مطاعا من الناس منك، وعبدا طائعا لك، اللهم اجعل من محمد قوامنا، واجتماعنا ووحدتنا، ومسيرنا ومصيرنا ومآلنا وحاضرنا وقادمنا، اللهم أعلِ كلمة الحق به فأعلِ كلمة الحق بنا وعلينا، وانشر كلمة الحق منا وفينا، وادفع عنا برحمتك وبعزتك من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك. اللهم اجعل حاضرنا وقادمنا لعبدك ورسولك، بلا إله إلا الله، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. اللهم وفقنا وسدد خطانا، حكاما ومحكومين، مهتدين وضالين، مؤمنين وشاردين، واجمعنا أحياء بك فيك يا رب العالمين على طاعة لك ورحمة منك، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الغافلين.

أضواء على الطريق

(أعمالنا موجهة نحو تعليم الإنسانية أساسيات الحياة حتى لا تجري وراء الأوهام في طلب القشور وعبادة الظلال. نحن نجاهد لكي نأتي بحقائق الصدق الروحي من أن الإنسان يمكنه أن يؤسس على اليقين لا على الأراجيف، ويمكنه أن يكون ذا دين حقيقي مبني على قوانين الطبيعة، حتى إذا نزلت به المصيبة، وتبدت له الظروف قاسية، ولم يعلم أين يتحول، كان دينه المؤسس على الحقائق الروحية قادرا على الصمود أمام كل اختبار وكل تجربة.

إن بعثتنا بعثة روحية تحاول أن تعلم الإنسان عن الروح الأعظم، وعن الحياة في داخل نفسه حتى يمكنه أن يدرك أنه ليس حيوانا بل إلهيا، وأن يعرف أنه يشترك في ألوهيته مع كل حياة أخرى في الكون. بهذه المعرفة سوف تتحرر دنياكم ليأتيها ضوء جديد، وذلك عندما ينتشر الفهم، ويعرف الإنسان مكانه في المشروع الأبدي العظيم.

إنا لا نحتكم لأي علم لاهوتي يعقد، ولا إلى تعاليم أثرية عتيقة، وإنما نحتكم للمنطق البسيط وهو الوسيلة التي يمكنكم بها أن تختبروا كل صدق وكل معرفة وكل حكمة. إنا لا نسألكم تصديق ما نقوله، إذا كان

يهين ذكاءكم، أو يكدر منطقكم بأي حال من الأحوال. احتكامنا موجه نحو الأعلى لا الأدنى منكم حتى يمكن أن يكتشف الإنسان نفسه، وفي اكتشافه لنفسه سوف يكتشف الله.)

من هدي الروح المرشد السيد (برش)